

**التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته
في ضوء القرآن والسنة
للدكتور: عبدالله بن إبراهيم اللحيدان^(١)**

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما

بعد:

فإن الله تبارك وتعالى أنعم على الإنسان بنعمة العقل وجعله
مناطق التكليف، وعندما يعطل الإنسان عقله يهبط بنفسه عن التكريم
الذي ميزه الله به عن سائر المخلوقات، ولذلك فإن إعمال العقل فيه
حياة للإنسان .

وإن من أعظم ما ابتلي به الناس اليوم شتات القلوب، وكثرة
الصوارف عن التفكير، ولعل هذا البحث يفتح آفاقاً لهذه العبادة
ويقرب مفهومها وأهميتها ومجالاتها وثمارها، ويبين اهتمام علماء
المسلمين وعامتهم بها ويبين أثرها في صلاح الفرد والمجتمع، فالتفكر
من العبادات القلبية التي أمر العبد أن ينميها من خلال النظر في

(١) عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ملكوت السماوات والأرض ومن خلال الآيات الكونية والأحكام الشرعية، والإنسان لا ينفك عما حوله من الحوادث والآيات الكونية التي تدل على عظيم خلق الله ويستدل بها على ما لله من صفات الكمال والعظمة والكبرياء .

وقد حثت آيات عديدة في القرآن العظيم على عبادة من أجل العبادات وهي التفكير، وإن من يعمن النظر في كتب التفسير مثلاً عند الآيات التي تتحدث عن الكون أو شروح الأحاديث النبوية يجد مادة علمية غزيرة في هذا المجال، بل إن بعض العلماء قد أفرد مصنفات خاصة في وصف المخلوقات والظواهر الكونية، قصدوا منها الحث على التفكير في آيات الله ومخلوقاته، ومن أوائل من صنف في ذلك ابن أبي الدنيا، في كتاب التفكير والاعتبار، وساق فيه جملة من الآثار التي ترغب في التفكير، كما أن الأصبهاني عقد فصولاً في كتابه: العظمة، عن المخلوقات وفضل التفكير فيها، إلا أنه أورد فيه العديد من الآثار الواهية والإسرائيليات، كما أن ابن القيم رحمه الله ساق في كتابه: مفتاح دار السعادة، فصولاً في التفكير في المخلوقات والحكمة منها، ومن صنف حديثاً في التفكير مالك البدر في كتابه: التفكير من المشاهدة إلى الشهود، وتطرق إلى التفكير من الناحية النفسية، ولم تشر هذه الكتب والدراسات إلى مفهوم التفكير وأنواعه ومجالاته؛ ولذلك فقد سعيت في هذا البحث إلى بيان مفهوم التفكير وأهميته

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان
وأنواعه ومجالاته وثمراته ومعوقاته في ضوء الكتاب والسنة، وقد كان
المرجع الأول لهذا البحث هو القرآن الكريم وكتب التفسير وشروح
الأحاديث النبوية، وقد سعت أثناء كتابة هذا البحث إلى مراعاة
الأمور التالية:

- ١- عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من القرآن الكريم .
- ٢- نقلت الأحاديث النبوية من مراجعها الأصلية ، وذكرت حكم
العلماء عليها إلا ما كان من الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول .
- ٣- استفدت من كتب التفسير وشروح الأحاديث النبوية عند
الاستشهاد بالنصوص من الكتاب والسنة .
- ٤- وضعت الهوامش في هذا البحث حسب قواعد البحث العلمي.
- ٥- وضعت في نهاية البحث بيانات مفصلة للمصادر والمراجع
تسهيلاً للرجوع إليها .

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم التفكير وأهميته.

المطلب الأول: مفهوم التفكير وكيفية.

المطلب الثاني: أهمية التفكير وحكمه.

المبحث الثاني: أنواع التفكير ومجالاته.

المطلب الأول: أنواع التفكير.

المطلب الثاني: مجالات التفكير.

المبحث الثالث: ثمرات التفكير ومعوقاته.

المطلب الأول: ثمرات التفكير.

المطلب الثاني : معوقات التفكير .

وأخيراً الخاتمة وفيها ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث .

أسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد وأن يجعل هذا البحث نافعا مفيدا، وخالصا لوجهه تعالى، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

المبحث الأول: مفهوم التفكير وأهميته:

المطلب الأول: مفهوم التفكير وكيفية:

التفكير في آيات الله تعالى ومخلوقاته من العبادات الجليلة التي أمر بها الشارع وحث عليها في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

ومفهوم التفكير لا يتضح لنا إلا عندما نعود إلى أصل الكلمة، كما يتضح لنا أيضاً عندما نعلم كثيراً من الشواهد العملية للتفكير في السنة وفي سير الصالحين .

التفكير لغة :

جاء في لسان العرب : التفكير التأمل، والفكر : إعمال الخاطر في شيء ^(١).

وقال ابن فارس : « الفاء والكاف والراء : تردد القلب في

(١) انظر: ابن منظور ، لسان العرب، ج٥، ص٦٥.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان
الشيء، يقال : تفكر إذا ردد قلبه معتبراً^(١).

فالتفكر : « جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح »^(٢).

ومن المعنى اللغوي ندرك أن التفكير عمل قلبي مستمر ، ومناطه العقل، وهو عملية لا تقصد بذاتها وإنما بما يحصله المرء منها وهو العمل والطاعة، ولذلك فسر مجاهد رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) قال: يطيعون^(٤)، فالتفكر مآله الطاعة والتسليم والانقياد لله رب العالمين وإلا فلا فائدة منه .

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: « التفكير هو أن يعمل الإنسان فكره في الأمر حتى يصل فيه إلى نتيجة، وقد أمر الله تعالى به وحض عليه في كتابه لما يتوصل إليه الإنسان به من المطالب العالية والإيمان واليقين »^(٥).

والتفكر يحتاج إلى شيء من الصبر والتكلف، وتصرف القلب في طلب المعنى ومبدأ ذلك معنى يخطر الله تعالى على بال الإنسان فيطلب متعلقاته التي فيها بيان عنه من كل وجه يمكن منه^(٦).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٤٤٦.

(٢) الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٣) سورة النحل، الآية ٤٤ .

(٤) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٤، ص ١١.

(٥) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٦) البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج ٤، ص ١١.

قال في التحرير والتنوير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشَّى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(١) : « أجرى صفة التفكير على لفظ قوم إشارة إلى أن التفكير المتكرر المتجدد هو صفة راسخة فيهم بحيث جعله من مقومات قوميتهم أي: جبلتهم ، وجيء بالتفكير بالصيغة الدالة على التكلف وبصيغة المضارع للإشارة إلى تفكير شديد ومكرر » ^(٢).

وقد جاءت آيات عديدة في القرآن تدعو إلى التفكير والنظر والتأمل والسير في الأرض قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٤). قال الإمام ابن القيم رحمه الله : « والتذكر والنظر والتأمل والاعتبار والتدبر والاستبصار كلها معان متقاربة » ^(٥).

والتفكير والتذكر فيهما معنى التكرير ويفرق بينهما الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله : « كل من التفكير والتذكر له فائدة غير فائدة الآخر، فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه

(١) سورة الرعد الآية، ٣ .

(٢) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٥٨.

(٣) سورة آل عمران الآية، ١٣٧.

(٤) سورة الذاريات الآية، ٤٩.

(٥) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ، ج١، ص١٨٢.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

ويثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة، والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلًا عند القلب»^(١).

والتفكر من العبادات التي تتطلب صفاء النفس والقدرة على طرد الأفكار والهواجس التي تعيق التفكير. وقد سئل بعض العلماء ما الذي يفتح الفكر؟ قال: اجتماع الهم؛ لأن العبد إذا اجتمع همه فكر فإذا فكر نظر فإذا نظر أبصر فإذا أبصر عمل^(٢).

واجتماع الهم يتطلب من المرء أن يخلو بنفسه ليكون ذلك أدعى إلى التفكير. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « لا بد من أوقات ينفرد بها المرء بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه إما في بيته كما قال طاووس: نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه، وإما في غير بيته»^(٣).

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: « التمس وجود الفكر في مواطن الخلوات »^(٤)، وقد جاء في حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله « ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه »^(٥).

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٣.

(٢) انظر: أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ١٠، ص ١٤٤.

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٠، ص ٤٢٦.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج ٩، ص ٢٨٨.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم

الحديث ٦٦٠ ص ١٣٢.

قال ابن علان رحمه الله: قوله : ذكر الله ، أي : بقلبه من التذكر ، أو بلسانه من الذكر، وقوله : خاليًا أي : عن الخلق؛ لأنه حينئذ يكون أبعد من الرياء أو المراد خاليًا عن الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ^(١).

وقال ابن عثيمين رحمه الله : قوله : « خاليًا ، يعني خالي القلب مما سوى الله عز وجل، خالي الجسم أيضًا ليس عنده أحد حتى لا يكون بكأوه رياء وسمعة فهو مخلص حاضر القلب؛ لأنه لا يمكن أن يبكي الإنسان وقلبه مشغول بشيء آخر »^(٢).

ولا يعني ذلك أن يغلق المرء على نفسه أو يتكلف وضعًا معينًا أو هيئة معينة كما يفعله بعضهم عند التأمل أو التفكير، إذ أن حقيقة التفكير: ترديد العلم بالقلب^(٣).

وليس المقصود بالتفكير الصمت عن الكلام ؛ لأن الصمت المجرد من عمل الجاهلية وليس من هدي الإسلام، وقد جاء النهي عن ذلك، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل »^(٤).

(١) انظر: ابن علان الصديقي، دليل الفالحين، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٢) انظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، ج ٥، ص ٤٠٤.

(٣) انظر: ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٤) رواه أبو داود، كتاب: الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتيم، رقم الحديث ٢٤٨٩، ص ٤٤٥، وصححه الألباني صحيح سنن أبي داود ج ٢، ص ١٢٦١ رقم الحديث ٧٦٠٩.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

قال المناوي رحمه الله: «أي لا عبرة ولا فضيلة له وليس مشروعاً عندنا كما شرع للأمم قبلنا فنهى عنه لما فيه من التشبه بالنصرانية»^(١).

ولما رأى أبو بكر رضي الله عنه امرأة لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا: حجت مصمتة، فقال لها: «تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية»^(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: «أخبر أبو بكر رضي الله عنه أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب على ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية قاصداً بذلك عيب هذا العمل وذمه»^(٣).

وقال الخطابي رحمه الله: «كان أهل الجاهلية من نسكهم الصمات، وكان الواحد منهم يعتكف اليوم والليلة فيصمت ولا ينطق، فنهوا عن ذلك وأمروا بالذكر والنطق بالخير»^(٤).

وصمت المسلم إنما يكون للتفكر، وكان من دعاء طلحة بن مصرف رحمه الله: «اللهم اجعل صمتي تفكراً، واجعل نظري عبراً، واجعل منطقي ذكراً»^(٥).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «المؤمن قليل الكلام كثير

(١) المناوي: فيض القدير، ج ٦ ص ٤٤٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، رقم الحديث ٣٧٣٤.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، ج ١ ص ٣٢٧.

(٤) الخطابي: معالم السنن، ج ٤، ص ٨٧.

(٥) انظر: أبا نعيم حلية الأولياء ج ٥، ص ١٥.

العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل، كلام المؤمن حكم، وصمته تفكر، ونظرة عبرة، وعمله بر»^(١).

كما أن التفكير لا يستلزم سكون البدن وعدم تحرك شيء منه، جاء في صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من نكت العود في الماء والطين، عن أبي موسى رضي الله عنه أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم عود يضرب به بين الماء والطين الحديث^(٢).

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فجعل ينكت الأرض بعود فقال: «ليس منكم من أحد إلا وقد فرغ من مقعده من الجنة والنار»، فقالوا: أفلا نتكل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾...» الآية^(٣).

قال ابن حجر رحمه الله عند شرح الحديث الأول: «وفقه الترجمة أن ذلك لا يعد من العبث المذموم؛ لأن ذلك إنما يقع من العاقل عند التفكير في الشيء ثم لا يستعمله فيما لا يغير تأثيره فيه بخلاف من يتفكر وفي يده سكين فيستعملها في خشبة تكون في البناء

(١) انظر: المرجع السابق، ج ٨، ص ٩٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من نكت العود في الماء والطين رقم الحديث ٦٢١٦ ص ١٣١٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الرجل ينكت الشيء بيده في الأرض، رقم الحديث ٦٢١٧ ص ١٣١٧، والآية من سورة الليل، الآية ٥.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان
الذي فيها فذاك من العبث المذموم»^(١).

وإذا كان التفكير يكون بتقليب النظر أو ترديد القلب اعتباراً
وتفكيراً فإنه يكون مع ترديد الآيات القرآنية والأذكار الشرعية. وقد
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام ليلة يردد قوله تعالى: ﴿إِنْ
تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ﴾ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وهذه
كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصباح»^(٢).

وعقد الإمام النووي رحمه الله فصلاً في كتاب التبيان في
استحباب ترديد الآية للتدبر وقال: «وقد بات جماعة من السلف
يتلون آية واحدة يرددونها إلى الصباح»^(٣).

أما ترديد الأذكار الشرعية فقد ضلت فيه طوائف عندما
ابتدعوا ألفاظاً يرددونها مرات ومرات، يتعبدون بها أو يظنون بها
صلاحاً لأنفسهم.

والتكرير الوارد في السنة إنما هو لأذكار مخصوصة، وليس
لأحد أن يتدع أذكاًراً أو ألفاظاً لم يأذن بها الشارع، ولو فعل ذلك
لم ينتفع بها في الدنيا ولا في الآخرة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:
«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٤).

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠، ص ٥٩٧.

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ج ١، ص ١٨٧. والآية من سورة المائدة، الآية:
١١٨. والحديث رواه النسائي كتاب الاستفتاح، باب ترديد الآية، رقم الحديث:
١٠٠٠، وحسنه الألباني، صحيح سنن النسائي، ج ١، ص ٢١٨.

(٣) النووي، كتاب التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٤٥.

(٤) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولو كرر الإنسان اسم الله ألف ألف مرة لم يصر بذلك مؤمناً ولم يستحق ثواب الله ولا جنته»^(١).

وقال أيضاً: «الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاماً تاماً مثل لا إله إلا الله ومثل الله أكبر ومثل سبحان الله... فأما الاسم المفرد مظهرًا مثل الله، الله، أو مضمراً مثل: هو هو فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأئمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين»^(٢).

وهدي الإسلام في الذكر أكمل هدي وأحسنه، فقد شرع للمسلم أن يذكر الله من حين أن يصبح، إلى أن يمسي، بأذكار مخصوصة في أوقات مخصوصة، كما شرع له أذكارة مطلقة يعمل بها متى وجد في نفسه نشاطاً وهمة، وهذه الأذكار سبب في انشراح الصدر وطمأنينة القلب وسعادة المرء في الدنيا والآخرة.

ولذلك فإن تقريب هدي الإسلام وطريقته في التفكير مطلب أساسي، لا سيما في هذا العصر الذي ظهرت فيه بعض الطرق في

= مردود، رقم الحديث ٢٤٩٩، ورواه مسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم الحديث ٣٢٤٣.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ ١٠، ص ٥٦٢.

(٢) المرجع السابق، ج ١٠، ص ٥٥٦.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

التأمل، بحثاً عن الصحة والسعادة، حيث يسعى كثير من الناس اليوم إلى محاربة القلق والاضطراب، وقد لجأ كثيرون في بلاد الغرب والشرق إلى العلاج عن طريق الأدوية أو التأمل أو الرياضة وغيرها؛ ليصلحوا أنفسهم ويتخلصوا من الملل والإرهاق - ولو لفترة وجيزة - ويكبحوا جماح شهواتهم ورغباتهم .

وظهر لذلك مدارس ومؤسسات تفرض على الأفراد طرقاً معينة في سبيل تحقيق الراحة لجسمه وذهنه. فهناك على سبيل المثال ما يسمى التأمل المتسامي، وهو من الأساليب التي ابتدعها الإنسان لراحة الجسم، وقد طورها أحد الهنود في خلال الخمسينات من القرن العشرين، ويهدف من خلاله إلى الوصول إلى حالة الوعي الصافي، بحثاً عن السعادة -بزعمهم - حيث يقوم من يمارس ذلك بالجلوس هادئاً في وضع مريح، ويغلق عينيه مردداً كلمات مقتبسة من الكتب الهندوسية^(١).

ولقد أنعم الله علينا نحن المسلمين بنعم لا تعد ولا تحصى، وأرشدنا في كتابه إلى ما فيه صلاح قلوبنا وأبداننا «وإن المؤمن المتفكر يجد كل الفوائد الصحية والجسمية والنفسية التي يلقاها الممارس للتأمل، بل ويزيد عليها بسبب صحة عقيدته وبساطتها ونفاذ بصيرته، ووضوح رؤيته الدينية وتدريبه المستمر على التأمل

(١) انظر: الموسوعة العالمية ج٦، ص٢٩.

والتفكر في صلاته وتسبيحه منذ نعومة أظفاره»^(١).

وما يميز المسلم هو استقلاله بتأمله وتفكره، فليس لأحد أن يقوم بالوصاية على المسلم في تفكره، فهو يملك ذلك متى أراد ويربى على ذلك من صغره، فقد أودع الله فيه آلات التفكير التي يستطيع من خلالها أن يطلق بصره وسمعه وقلبه، في آيات الله ومخلوقاته، بخلاف أهل النحل والمذاهب الوضعية، حيث لا يملك معتنقوها حرية التأمل والتفكر، فالتأمل في البوذية مثلاً يهدف إلى معرفة الحقائق، ويؤكد البوذيون ضرورة اتخاذ مرشد في هذا الطريق، ويقسمون التأمل إلى درجات معقدة لا يحصل المرء منها إلا اضطراراً وسوء فهم للحياة وما خلق لأجله^(٢).

المطلب الثاني: أهمية التفكير وحكمه:

التفكر من العبادات القلبية الجليلة ((وهو من أفضل أعمال القلب وأنفعها له))^(٣).

كما أن التفكير أصل الطاعات ومبدؤها، قال ابن القيم رحمه الله: ((فأصل كل طاعة إنما هي الفكر، وكذلك أصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكرة، فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة، فيبذر فيها حب الأفكار الرديئة، فيتولد منها الإرادات والعزم

(١) د. مالك البدرى، التفكير من المشاهدة إلى الشهود، ص ٥٩.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج ٥، ص ٢٣٢.

(٣) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ج ١، ص ١٨٣.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

فيتولد منها العمل، فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خلق له وفيما أمر به وفيما هيء له وأعد له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعاً»^(١).

والتفكر أيضاً يكشف الفرق بين الوهم والخيال، المانع لأكثر النفوس من انتهاز الفرص بعد إمكانها، وبين السبب المانع حقيقة، فيشتغل به دون الأول، فما قطع العبد عن كماله وفلاحه وسعادته العاجلة والآجلة قاطع أعظم من الوهم الغالب على النفس والخيال الذي هو مركبها بل بحرها الذي لا تنفك ساجدة فيه، وإنما يقطع هذا العارض بفكرة صحيحة وعزم صادق يميز به بين الوهم والحقيقة^(٢).

ولذلك فالتفكر سبيل المرء إلى العمل، وإدراك حقائق الأشياء، بل إن حياة المرء وسعادته تبع لأفكاره، قال السعدي رحمه الله: «واعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكاراً فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا، فحياتك طيبة سعيدة وإلا فالأمر بالعكس»^(٣). ولذلك فإن إعمال الفكر فيما ينفع ويقرب إلى الله من أهم المطالب الدينية.

ولقد حثت آيات عديدة في القرآن العظيم على التفكير، ومدح الله عز وجل المتصفين بهذه الصفة في كتابه، في مواضع عديدة ختمت

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨١.

(٣) عبدالرحمن السعدي، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ص ٣١.

بقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنِّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(١) .
وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قام من آخر الليل فخرج فنظر إلى السماء، ثم تلا هذه الآية من سورة آل عمران:
﴿ إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاٰخَتِلَافِ الْاَيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيٰتٍ لِّأُولِیْ
الْأَلْبَٰبِ ﴾ ^(٢) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ
فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَطِلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ ﴾ ^(٣) .. ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ثم
اضطجع ثم تلا هذه الآية ثم رجع فتسوك فتوضأ ثم قام فصلى ^(٤) .

قال النووي رحمه الله : « فيه أنه يستحب قراءتها عند الاستيقاظ
في الليل مع النظر إلى السماء لما في ذلك من عظيم التدبر ، وإذا تكرر
نومه واستيقاظه وخروجه استحب تكريره قراءة هذه الآيات ، كما
ذكر في الحديث والله أعلم » ^(٥) . وقيل للأوزاعي : ما غاية التفكير
فيهن ؟ قال : « يقرؤهن وهو يعقلهن » ^(٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « النظر إلى المخلوقات العلوية
والسفلية على وجه التفكير والاعتبار مأمور به مندوب إليه » ^(٧) .

(١) سورة الرعد، الآية ٣، سورة الروم، الآية ٢١، سورة الزمر، الآية ٤٣، سورة
الحاثية، الآية ١٣ .

(٢) رواه مسلم كتاب الطهارة، باب السواك، ج ٢ ص ١٤٨، رقم الحديث ٢٥٦،
والآيات من سورة آل عمران: ١٩٠، ١٩١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٤٨ .

(٤) انظر : ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ج ١ ص ٤٧٨ .

(٥) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج ١٥ ، ص ٣٤٣ .

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

فالتفكر في مخلوقات الله أمر مندوب إليه قال السعدي رحمه الله:
« التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين »^(١)، ولكن ليس كل
أحد يعتبر ويتفكر ، وليس كل من تفكر أدرك المعنى المقصود^(٢) .
والتفكر في آلاء الله والسير المأمور به في القرآن الكريم هو :
« سير القلوب والأبدان الذي يتولد عنه الاعتبار، وأما مجرد نظر
العين وسماع الأذن وسير البدن الخالي من التفكر والاعتبار فغير مفيد
ولا موصل إلى المطلوب »^(٣).

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته وآياته الدالة على
ربوبيته وألوهيته، وماله من صفات الكمال والجلال ، فقال تعالى:
﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴾^(٤)، ومدح عز وجل
عباده الذين يذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السموات والأرض ، قائلين : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَنَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(٥).

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أعظم عباد الله تفكراً في
آيات الله ومخلوقاته ، ونبينا صلى الله عليه وسلم أكملهم في ذلك

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، سورة آل عمران، الآية ١٩١.

(٢) انظر : المرجع السابق تفسير سورة الأنعام، الآية ٩٥.

(٣) السعدي ، تفسير الكريم الرحمن ، تفسير سورة الأنعام، الآية ١١، وسورة الحج،
الآية ٤٦.

(٤) سورة يوسف ، الآيتان ١٠٥، ١٠٦.

حيث كان يتفكر في آيات الله ومخلوقاته ويدعو إلى ذلك قال صلى الله عليه وسلم : ((تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله))^(١).

وكان الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين يمثلون هذا، وينظرون في ملكوت الله نظر تفكر واعتبار، وقد وردت الآثار الكثيرة عن السلف في فضل التفكر، فقد سئلت أم الدرداء رضي الله عنها عن أفضل عبادة أبي الدرداء رضي الله عنه قالت : ((التفكر والاعتبار))^(٢).

وقال الحسن رحمه الله : ((تفكر ساعة خير من قيام ليلة))^(٣)، وقال أيضاً ((أفضل العمل الورع والتفكر))^(٤)، وقال عامر بن قيس رحمه الله : سمعت غير واحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون : إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر، وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: إن الفكرة نور يدخل قلبك ، وربما تمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ج٦، ص٦٧، وأورده البيهقي في الشعب ج١، ص١٣٦، وأبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة ج١ ص٢١٠، وذكره الألباني في صحيح الجامع ج١ ص٥٧٢ برقم ٢٩٧٦، وقال عنه: (حسن).

(٢) كتاب الزهد للإمام أحمد. دار الكتاب العربي بيروت، ١، ١٤١٦ ص ١٩٨، وانظر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٢، ص١٩٥، وانظر : أبا نعيم، حلية الأولياء، ج١، ص٢٠٨، ج٧، ص٣٠٠.

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد ص٢٠٢.

(٤) البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٣٠.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله : « إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة »، وقال الحسن رحمه الله : « التفكير مرآة تريك حسناتك وسيئاتك »^(١) . وقال وهب بن منبه رحمه الله : « ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ، ولا فهم امرؤ قط إلا علم ، ولا علم امرؤ قط إلا عمل »، وقال عمر ابن عبد العزيز رحمه الله : « الكلام بذكر الله عز وجل حسن ، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة »^(٢) .

وكان للسلف أحوال في التفكير ، فمن ذلك ما جاء عن عمر ابن عبد العزيز رحمه الله أنه قال لرجل من جلسائه : « لقد أرقّت الليلة تفكراً ، قال : فيم يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه »^(٣) .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله : « إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن ، وأعرض عملي على عمل أهل الجنة ، فإذا أعمالهم شديدة ، (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، يبيتون لرهم سجداً وقياماً ، أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ، فلا أراني فيهم ، فأعرض نفسي على هذه الآية ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ »^(٤)

(١) انظر: أبا نعيم ، حلية الأولياء ، ج ٨ ، ص ١٠٩ . وأبا الشيخ الأصبهاني ، كتاب العظمة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٢) انظر: أبا نعيم ، حلية الأولياء ج ٥ ص ٣١٤ ، وانظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٧٤ .

(٣) انظر: أبا نعيم ، حلية الأولياء ج ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٤) سورة المدثر ، الآية ٤٢ .

فأرى القوم مكذبين، وأمر بهذه الآية ﴿وَأَخْرُوجُوا عَنْ دُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(١) فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم»^(٢).

وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: قال لي سفيان الثوري رحمه الله: «ناولني المطهرة لأتوضأ، فناولته إياها، فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده، ونمت، فاستيقظت وقد طلع الفجر فنظرت إليه فإذا المطهرة في يده على حالها فقلت: يا أبا عبد الله قد طلع الفجر، قال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة إلى هذه الساعة»^(٣). وكان شريح القاضي رحمه الله يقول لأصحابه: «اخرجوا بنا إلى السوق فننظر إلى الإبل كيف خلقت»^(٤).

والتفكر إن لم يثمر عملاً لم يحصل منه المرء شيئاً، كما أن التفكر لا يعني الصمت والعزلة عن الناس، فكم صامت لا يفكر، بل تتقلب به الوسوس والخيالات.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «ركعتان مقتصدتان في تفكر، خير من قيام ليلة والقلب ساه»^(٥). وعلى هذا

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٢.

(٢) أبا نعيم، حلية الأولياء، ج ٢، ص ١٩٨.

(٣) المرجع السابق، ج ٧، ص ٥٣.

(٤) انظر: أبا نعيم حلية الأولياء، ج ٤، ص ١٣٣، وانظر: السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ١٩٥.

(٥) انظر: الأصبهاني، كتاب العظمة، ج ١، ص ٣٠٢، وابن كثير، تفسير القرآن

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

يحمل قول الحسن رحمه الله المتقدم، فإن ساعة تفكر خير من قيام ليلة بلا تفكر، أما إذا كان قيام الليل مع التفكر فإنه أفضل بلا شك .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : « ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله في رجل أكل فشبع وأكثر الصلاة والصيام ورجل أقل الأكل فقلت نوافله وكان أكثر فكرة أيهما أفضل ؟ فذكر ما جاء في الفكر: تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، قال : فرأيت هذا عنده أكثر يعني الفكر، وهذا يدل على تفضيل قراءة التفكر على السرعة وهو اختيار الشيخ تقي الدين وهو المنصوص صريحاً عن الصحابة والتابعين »^(١).

قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: « قلت لأبي صفوان أيما أحب إليك أن يجوع الرجل فيجلس فيتفكر، أو يأكل فيقوم فيصلّي؟ قال: يأكل يقوم فيصلّي، ويتفكر في صلاته هو أحب إلي، فحدثت به أبا سليمان - يعني : الداراني - فقال: صدق، الفكرة في الصلاة أفضل من الفكرة في غير الصلاة، الفكرة في الصلاة عملان، وعملان أفضل من عمل »^(٢).

قال ابن العربي رحمه الله: « وأما طريقة من يبقى يوماً وليلة أو شهراً متفكراً لا يفتّر فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالشرع »^(٣).

العظيم ج ١ ص ٤٧٤.

(١) انظر: الأصبهاني، كتاب العظمة، ج ١ ص ٢٢٩، وانظر: ابن رجب، القواعد، ج ١، ص ٢٢.

(٢) انظر: أبا نعيم، حلية الأولياء ج ٨، ص ٣٠٠.

(٣) انظر: ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٢، ص ٣٥٤.

إن دين الله لا يؤخذ بالرأي أو الهوى ، وما ضل من ضل من الطوائف والفرق إلا عندما ابتعدوا عن الكتاب والسنة وابتدعوا من عند أنفسهم عبادات لم يأذن بها الله ورسوله .

ولذلك فإن التفكير الذي ينتفع به صاحبه هو الذي يبعث على التأسي بالكتاب والسنة، قال بكر بن خنيس: «قلت لسعيد بن المسيب - رحمه الله - وقد رأيت قوماً يصلون ويتعبدون : يا أبا محمد ألا تتعبد مع هؤلاء القوم؟ فقال لي: يا ابن أخي إنها ليست بعبادة .

قلت له: فما التعبد يا أبا محمد؟ قال: التفكير في أمر الله، والورع عن محارم الله، وأداء فرائض الله تعالى» (١).

وقول هذا التابعي الجليل ليس تقليلاً من شأن الصلاة، فهو الذي يقول عن نفسه: ما فاتتني الصلاة في جماعة أربعين سنة، ويقول: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد، وحج أربعين حجة (٢).

ولكنه يعني التوازن في حياة المسلم، بين التفكير وأداء الفرائض ومعاملة الخلق. وجاء في رواية أخرى عن صالح بن محمد بن زائدة أنه رأى فتية يروحون بالهاجرة إلى المسجد، ولا يزالون يصلون حتى يصل إلى العصر فقال لسعيد: هذه هي العبادة لو نقوى على ما يقوى

(١) انظر: أبا نعيم ، حلية الأولياء ج ١ ص ١٦٢ .

(٢) المرجع السابق، ج ٢ ص ١٦٢ ، ١٦٤ .

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

عليه هؤلاء الفتيان . فقال سعيد ما هذه العبادة، ولكن العبادة:
التفقه في الدين والتفكر في أمر الله تعالى ^(١).

ولذلك فإن العبادة الحقة هي التي تجمع بين العلم والعمل، بين
الفقه والتفكر وبين حسن العمل وحسن القصد .

المبحث الثاني: أنواع التفكير ومجالاته:

المطلب الأول: أنواع التفكير:

التفكر في مخلوقات الله وآياته يتفاوت فيه الناس ويختلفون
باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان، ويمكن أن نتبين نوعين
ظاهرين للتفكر والنظر في آيات الله ومخلوقاته .

الأول : نظر إليها بالبصر الظاهر فيرى مثلاً زرقة السماء ونجومها
وعلوها وسعتها ، ويرى سعة الأرض وامتدادها، وجبالها
ووهادها، وهذا نظر يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات
وليس هذا المقصود بالأمر .

الثاني : أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة، ويتفاوت الناس في
هذا تفاوتاً عظيماً فمنهم من يأخذ بحظ يسير منه، ومنهم من
يتجاوز ذلك حتى ينظر ببصيرته الباطنة سعة وعظمة ملكوت
الله وهيمنته على خلقه فيستدل بها على ما لله من صفات
الكمال والجلال والعظمة والكبرياء ^(٢).

(١) انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) انظر ابن القيم، مفتاح دار السعادة ج ١ ص ١٩٩.

وقد جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تدعو إلى السير في الأرض، والاعتبار بأحوال الأمم الماضية ، قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (٣) .

فالأمر بالسير في الأرض ينقسم إلى قسمين سير بالأقدام وسير بالقلب. قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله : « أما السير بالقدم فأن يسير الإنسان في الأرض على أقدامه أو على راحلة من بعير أو سيارة أو طيارة أو غيرها حتى ينظر ماذا حصل للكافرين وماذا كانت حال الكافرين ، وأما السير بالقلب فهذا يكون بالتأمل والتفكير فيما نقل من أخبارهم » (٤) .

ومن هنا تبين نوعان من أنواع التفكير :

الأول : التفكير مع النظر وهو لا ينفع إلا أهل الإيمان والقلوب السليمة الذين يعلمون الغاية من الخلق وهو عبادة الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥)

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٧ .

(٢) سورة النمل، الآية ٦٩ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٢٠ .

(٤) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين، ج ١ ص ٨٤٥ .

(٥) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

الثاني : التفكير بالقلب دون النظر وهو التأمل وترديد القلب اعتباراً بآيات الله ومخلوقاته وهو من أعظم أسباب زيادة الإيمان إذا صح مقصود فاعله . وأكمل الأحوال أن يجمع المرء بين هذين النوعين، ولا يقتصر على نوع دون الآخر .

المطلب الثاني: مجالات التفكير:

١- التفكير في القرآن العظيم : وهو أعظم مجالات التفكير، فالقرآن معجزة الإسلام الخالدة أنزله الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الرَّ كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝﴾^(١)، وهو معجز بلفظه ومعانيه، لا تنقضي عجائبه للمتفكرين فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ قال السعدي : ((قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه))^(٢).

ومن التفكير في القرآن التفكير في حججه وآياته وأحكامه الشرعية والتفكر في أمثاله التي ضربها الله لعباده ليتفكروا فيها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿أَيُّودُ

(١) سورة إبراهيم، الآية ١.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ٤٤١، والآية من سورة النحل، الآية ٤٤ .

(٣) سورة الحشر، الآية ٢١.

أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾

قال ابن كثير رحمه الله: «أي تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني وتنزلونها على المعنى المراد منها، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾» (٢).

وقال السعدي رحمه الله: «أخبر تعالى أنه تعالى يضرب للناس الأمثال ويوضح لعباده الحلال والحرام لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم ويبين له طريق الخير والشر، ويحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكير في القرآن والتدبر لمعانيه» (٣).

٢- التفكير في المخلوقات: وهذا المجال من مجالات التفكير واسع النطاق يمتد إلى ملكوت السماوات والأرض وما سخر الله منها من كل شيء، وقد جاءت آيات عديدة في القرآن العظيم تدعو إلى التفكير في السماوات والأرض وما بينهما، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤)،

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٦.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١ ص ١٤٠ والآية من سورة العنكبوت الآية ٤٣.

(٣) السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص ٧٩٢.

(٤) سورة الجاثية، الآية ١٣.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ ^(١).

قال البقاعي رحمه الله: «لما كانت آيات المعرفة إما في الآفاق وإما في النفس وكانت آيات الآفاق أعظم، قال: «في خلق السماوات والأرض» على كبرهما واتساعهما وقوة ما فيهما من المنافع ^(٢). قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ ^(٣).

وقد دعا الله عباده للتفكر في خلق السماوات والأرض وذلك لما فيهما من الآيات العجيبة التي تبهر الناظرين وتقع المتفكرين وتجذب أفئدة الصادقين، ولتنبيه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، أما تفصيل ما اشتملت عليه فلا يمكن أن يحصره مخلوق أو يحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة وانتظام السير والحركة يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه، وشمول قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها وسعة علمه، وما فيها من المنافع للخلق يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره،

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩٢.

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر، ج ٢، ص ١٩٧.

(٣) سورة غافر، الآية ٥٧.

ووجوب شكره ^(١).

٣- التفكير في الدنيا والآخرة : وهذا المجال أحد مجالات التفكير التي أمر الله عز وجل بها ، فالدنيا دار ممر وليست دار قرار، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٢) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « يعني في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها »، وقال قتادة : « لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتعرفون فضل الآخرة على الدنيا » ^(٤).

وقال أيضاً: « من تفكر في الدنيا والآخرة عرف فضل إحداهما على الأخرى، وعرف أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء، وأن الآخرة دار بقاء ثم دار جزاء » ^(٥).

والآيات في بيان حقيقة الدنيا وزوالها وسرعة انقضائها كثيرة معلومة، وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يكثّر على أصحابه من بيان حقيقة الدنيا قولاً وعملاً، قال صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » ^(٦)، وكان صلى الله عليه وسلم أزهّد الناس في الدنيا

(١) انظر : السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص ١٢٨ ، ص ٧٢١.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٢١٩ ، ٢٢٠.

(٣) انظر : الطبري، جامع البيان ، ج ٢ ، ص ٣٩٩.

(٤) أبا نعيم، حلية الأولياء، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٥) رواه البخاري. كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كأنك غريب،

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان
وحطامها وأعرفهم بحقيقتها .

كما ورد في القرآن العظيم بيان أحوال الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه وما أعد فيها لأعدائه قال القرطبي : « ومما يتفكر فيه مخاوف الآخرة من الحشر والنشر والجنة ونعيمها والنار وعذابها » ^(١) . والآيات في ذلك كثيرة معلومة .

٤- التفكير في الموت والبعث : قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٢) . قال ابن جرير رحمه الله : « يقول الله تعالى : إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بعد ، نفس هذا ترجع إلى جسمه ، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبر وبيانا أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء ويميت من شاء إذا شاء » ^(٣) .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أُولَٰمِ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ ^(٤) أي : أولم يتفكر هؤلاء المكذبون

= رقم الحديث : ٥٩٣٧ .

(١) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤ ، ص ٣١٤ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٤٢ .

(٣) ابن جرير الطبري ، جامع البيان ، ج ٢٤ ، ص ٩ .

(٤) سورة الروم ، الآية ٨ .

في خلق الله إياهم وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئاً ثم صرفهم أحوالاً وتارات حتى صاروا رجالاً، فليعلموا أن الذي فعل ذلك قادر على أن يعيدهم بعد فنائهم خلقاً جديداً ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته^(١).

ومما يتعلق بالموت : زيارة المقابر، وقد جاءت السنة بالحث عليها، قال صلى الله عليه وسلم : « زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة »^(٢)، وزيارة القبور تبعث على التفكير في الحياة وفي مصير الإنسان ومآله .

وزيارة القبور - خصوصاً - تتطلب أن يكون المرء خالياً من كل ما يشغله عن الاعتبار والاتعاظ؛ ولذلك قال بعض السلف : « زوروا القبور بفكركم »^(٣)؛ لأن المرء لا ينتفع بالزيارة إذا كان يزور المقبرة بجسده دون فكره، أو يكتفي من الزيارة بحضور جنازة قريب أو صديق .

وكذلك الأمر عند اتباع الجنازة، ينبغي أن يكون المرء متفكراً ومعتبراً بهذه النهاية التي كتبها الله تعالى على كل حي، قال في المغني :

(١) انظر: ابن جرير، جامع البيان، ج ٢١، ص ٢٤.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم الحديث ١٥٥٨، وهو في صحيح مسلم بلفظ: (فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت) كتاب الجنائز رقم الحديث ١٦٢٣.

(٣) انظر : أبا نعيم ، الحلية ، ج ١٠ ، ص ١٤٣ .

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

« ويستحب لمشييع الجنازة أن يكون متخشعاً متفكراً في مآله متعظاً بالموت وبما يصير إليه الميت »^(١).

٥- التفكر في المتقابلات : خلق الله تبارك وتعالى في هذا الكون من المتقابلات والأضداد ما يدل على كمال قدرته وبديع صنعته، فالليل والنهار، والشمس والقمر، والسهل والوعر، والماء العذب والماء المالح، والذكر والأنثى، آيات ودلالات وعبرة لمن يعتبر، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢).

ولقد من الله تعالى على الإنسان بأن خلق له زوجاً يسكن إليها كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ وبين تعالى تمام رحمته ولطفه بعباده بما جعل بين الزوجين من المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ ثم دعا عباده إلى التفكر في ذلك في ختام الآية ليعتبر ويتعظ من أحيا الله قلبه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٣).

قال ابن جرير : « يقول تعالى : إن في فعله ذلك لعبرة وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلتها فيعلموا أنه الإله الذي لا يعجزه شيء أرادته ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه »^(٤).

والتفكر والنظر في تلك الدلائل هو الذي يجلي كنهها ويزيد

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج ٣ ، ص ٣٩٦ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية ٤٩ .

(٣) سورة الروم ، الآية ٢١ .

(٤) ابن جرير ، جامع البيان ، ج ٢١ ، ص ٣١ .

الناظر معرفة بمنافع أخرى ضمنها^(١).

وقد دعت آيات عديدة في القرآن الكريم إلى الاعتبار بالليل والنهار والشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٤).

وفي اختلاف الليل والنهار عبرة من وجوه متعددة :

أولاً : من جهة أن الليل مظلم والنهار مضيء كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(٥).

ثانياً : اختلافهما في الطول والقصر؛ أحياناً يطول الليل وأحياناً يطول النهار وأحياناً يتساويان، كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾^(٦) أي: يدخل هذا في هذا مرة فيأخذ منه وهذا في هذا مرة فيأخذ منه وهذا اختلافهما .

ثالثاً : اختلافهما في الحر والبرد؛ تارة يكون بارداً وتارة حاراً .

(١) انظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠ ص ٧١.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٧.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٩٠.

(٤) سورة النور، الآية ٤٤.

(٥) سورة الإسراء، الآية ١٢.

(٦) سورة الحج، الآية ٦.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

رابعاً : الخصب والجذب؛ تارة تكون الدنيا جذباً وقحطاً

وسنين وتارة تكون خصبة وربيعاً ورخاء .

خامساً : اختلافهما في الحرب والسلم؛ تارة تكون حرباً وتارة

تكون سلماً وتارة تكون عزاً وتارة تكون ذلة، كما قال الله : ﴿وَتِلْكَ
الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ^(١).

ومن تأمل اختلاف الليل والنهار وجد فيه من آيات الله عز وجل

ما يبهر العقول ^(٢).

٦- التفكير في خلق الإنسان :

لقد كرم الله تبارك وتعالى الإنسان وشرفه على بقية المخلوقات،

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ^(٣)،

وخلقه تعالى في أحسن صورة، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ^(٤)، وشرفه بالعقل، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ

بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٥). وقد جاءت آيات عديدة في القرآن

الكريم تتحدث عن خلق الإنسان وتدعو إلى التفكير في خلقه والأصل

الذي خلق منه وفضل الله تبارك وتعالى عليه، وإذا كان العلم الحديث

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤.

(٢) انظر : ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج ٢ ، ص ٥٤١.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٤) سورة التين، الآية ٤.

(٥) سورة النحل، الآية ٧٨.

قد وصل إلى أسرار كثيرة من خلق الإنسان، فإن المتأمل لخلقه ابتداء وانتهاء، والناظر فيما اختصه الله به من عقل وإرادة، يدرك أنه إنما خلق لأمر عظيم، قال تبارك وتعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال قتادة رحمه الله: ((من تفكر في نفسه عرف أنما لينت مفاصله للعبادة))^(١).

وإن أعظم ما يدعو المرء إلى التفكير في خلق الإنسان ما جاء في القرآن الكريم عن مراحل خلقه وتصويره، لا سيما وقد شهد العصر الحديث من الاكتشافات والأسرار في خلق الإنسان ما يدعو إلى زيادة الإيمان بعظيم قدرة الله تعالى وبديع صنعه.

٧ - التفكير في الحيوان والنبات :

عالم الحيوان والنبات عالم فسيح يتسم بالحركة والتناسق مع هذا الكون ، وقد سخر الله تبارك وتعالى الحيوان والنبات للإنسان، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٦٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٦٧﴾ وَهُمْ فِيهَا مَنَّعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا

(١) الأصبهاني، كتاب العظمة، ج ١، ص ٢٣٤. والآية في سورة الذاريات، الآية ٢١.

(٢) سورة يس، الآيات ٧١ - ٧٣.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِمُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَيْتُونٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعِثْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِّبَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ .

إن التفكير في عالم الحيوان وما أودع الله فيه من أسرار مطلوب من كل أحد ، فكما سخرها الله تعالى وذلّلها للإنسان لينتفع بها فكذلك جعلها له آية ليعتبر بها ويتعظ ، وكل صنف من عالم الحيوان له أسرار وطبائعه ، ومن هذه الأصناف النحل التي جاء ذكرها في القرآن الكريم لبيان مهمتها في الحياة وما يفيد منها الناس ، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ .

قال ابن جرير رحمه الله: ((يقول تعالى ذكره إن في إخراج الله من بطون هذه النحل: الشراب المختلف الذي هو شفاء للناس لدلالة وحجة واضحة على من سخر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل، واتخاذها البيوت التي تنحت من الجبال والشجر والعروش، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس، أنه الواحد الذي ليس كمثله شيء ،

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٩ .

(٢) سورة الرعد، الآية ٤ .

(٣) سورة النحل، الآيتان ٦٨ ، ٦٩ .

وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ولا تصح الألوهية إلا له»^(١).

وقال ابن كثير رحمه الله: «(أي إن في إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى السلوك في المهامه، والاجتناء من سائر الثمار ثم جمعها للشمع والعسل، وهو من أطيب الأشياء لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر الحكيم العليم الكريم الرحيم)»^(٢).

وإن من تدبر اختصاص النحل بكل العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر علم قطعاً أن لابد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه^(٣).

واختير وصف التفكير هنا؛ لأن الاعتبار بتفصيل ما أجملته الآية في نظام النحل محتاج إلى إعمال فكر دقيق ونظر عميق^(٤).

وكما أن الحيوان مدعاة للتفكير فإن النبات بأشكاله وألوانه وثماره وأطواره مدعاة للتفكير والتأمل أيضاً، والآيات في ذلك كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾﴾^(٥)، أي

(١) ابن جرير، جامع البيان، ج ١٤، ص ١٤١.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٦٣٥.

(٣) انظر: محيي الدين زادة، حاشية زادة على البيضاوي، ج ٣، ص ١٨٩.

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٧، ص ٢١.

(٥) سورة النحل، الآيات ١٠، ١١.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَىَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

وإن «من تأمل الحبة تقع في الأرض، وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أعلاها، ويخرج منه ساق الشجرة، وينشق أسفلها فيخرج منه عروقتها، ثم تنمو ويخرج منها الأوراق والأزهار والأكمام والثمار، ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطبائع» (٢) من تأمل ذلك علم أن لا بد من قادر حكيم واستدل بها على عظمة خالقها وأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وهذه الحبة من دلائل البعث؛ لأنها تدفن في التراب ليس لها ورق ولا غصن ولا ثمر ولا لون ولا طعم ولا حركة، فيمكثها الله في التراب ثم يحييها فالق الحب والنوى فيخرجها من الأرض، وكذلك يخرج الموتى وهو على كل شيء قدير (٣).

٨- التفكير في مصارع الغابرين :

ومن مجالات التفكير العظيمة، التفكير في مصارع الأمم الغابرة فيما نقل من أخبارهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة، كيف كانوا؟ وأين هم الآن؟ فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً، وإن

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٢١، والآية من سورة النمل، الآية ٦٠.

(٢) محيي الدين زادة، حاشية زادة على البيضاوي، ج ٣، ص ١٧٠.

(٣) انظر: أبا الشيخ الأصبهاني، كتاب العظمة، ج ١، ص ٢٨٦.

الناظر إلى ديار الأمم الغابرة يرى ما وصلوا إليه من قوة وحضارة، فبادوا وأصبحوا عبرة لمن بعدهم، وقد أرشد القرآن العظيم إلى أن هذه الأمم الغابرة كان لهم شأن عظيم في بناء القصور ونحت الجبال، وأعطاهم الله قوة في أجسامهم فما أغنى عنهم كل ذلك لما كذبوا بآيات الله واستكبروا عن عبادته، وقالوا: من أشد منا قوة؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة.

وقد قص القرآن الكريم علينا قصص أولئك الأمم: عاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط، وغيرهم، وقص علينا نبأ الذين استكبروا وطغوا وتجبروا: فرعون وهامان وقارون وغيرهم، بماذا قابلوا نعم الله عليهم وماذا كان مصيرهم؟

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٣﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿٦﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿٧﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿٩﴾ ۝ ^(١) .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاتعاظ بهؤلاء الأقوام الذين استحقوا مقت الله وغضبه، وفي غزوة تبوك عندما مر عليه الصلاة والسلام على ديار ثمود قال لأصحابه رضي الله عنهم: ((لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا

(١) سورة الفجر، الآيات ٦ - ١٤.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم»^(١)، وفي رواية :
أن يصيبكم. قال ابن حجر رحمه الله: «أي خشية أن يصيبكم ،
ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعث على التفكير والاعتبار ، فكأنه
أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على
أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة ثم إيقاع
نقمته بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن
أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك، والتفكر أيضاً في مقابلة أولئك نعمة
الله بالكفر وإمهالهم أعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به، والطاعة
له، فمن مر عليهم ولم يفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم فقد
شابههم في الإهمال، ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن
أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم»^(٢).
وقد روى الإمام مسلم في صحيحه هذا الحديث في باب النهي
عن الدخول على أهل الحجر إلا لمن يدخل باكياً .

قال النووي رحمه الله: «فيه الحث على المراقبة عند المرور بديار
الظالمين ومواقع العذاب، ومثله الإسراع في وادي محسر؛ لأن
أصحاب الفيل هلكوا هناك فينبغي للمار في مثل هذا الموضع المراقبة

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب،
رقم الحديث ٤١٥، ورواه مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا
مساكن الذين ظلموا أنفسهم، رقم الحديث ٥٢٩٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص ٥٣١.

والخوف والبكاء والاعتبار بهم وأن يستعيز بالله من ذلك»^(١).

والاعتبار بقصص الماضين من الأمم والأفراد من أعظم دواعي التفكير، كما قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَآوِينَ﴾ ﴿٣١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾^(٢)، أي اقصص هذه القصة وغيرها ..، فإن في القصص تفكراً وموعظة فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم؛ لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنًا عظيمًا في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة^(٣).

المبحث الثالث: ثمرات التفكير ومعوقاته:

المطلب الأول: ثمرات التفكير:

للتفكير ثمرات عديدة نذكر منها ما يلي :

أولاً : زيادة الإيمان واليقين :

وهو أعظم فوائد التفكير حيث يستدل به المرء على ما لله من صفات الكمال والجلال ويعلم أنه لا يخلق أحد كخلق الله ولا يدبر كتدبيره سبحانه وتعالى .

(١) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ٩، ص ٣٢١.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥ ، ص ١٧٩.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

قال ابن القيم رحمه الله: ((التفكر يوقع صاحبه من الإيمان على ما لا يوقعه عليه العمل المجرد، فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له، وتميز مراتبها في الخير والشر ومعرفة مفضولها وفاضلها وأقبحها من قبيحها ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها والتميز بين ما ينبغي السعي في تحصيله وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه))^(١).

وأعظم ما ينبغي أن يتفكر به المرء القرآن العظيم؛ ليحني من ذلك علوماً عديدة منها : علم التوحيد وما لله من صفات الكمال، فإذا مرت عليه الآيات في توحيده وأسمائه وصفاته أقبل عليها، فإذا فهمها وفهم المراد منها أثبتتها لله على وجه لا يماثل فيه أحد، وعرف أنه ليس له مثل في ذاته ولا في صفاته، وامتألاً قلبه من معرفة ربه وحبّه بحسب العلم بكمال الله وعظمته، فإن القلوب مجبولة على محبة الكمال فكيف بمن له الكمال المطلق ؟ ومنه النعم الجزيلة، وهذا العلم هو أجل علوم القرآن على الإطلاق وهو أصل العلم وأصل التعبد .

ومنها : معرفة صفات الرسل وأحوالهم وما جرى لهم وعليهم، وما كانوا عليه من الأوصاف الراقية والأخلاق الكريمة .
ومن ذلك علم أهل السعادة والخير، وأهل الشقاء والشر، والفرقان بين هؤلاء وهؤلاء .

(١) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة، ج ١، ص ١٨٠ .

ومنها : علم الجزاء في الدنيا والبرزخ والآخرة على أعمال الخير وأعمال الشر، وفي ذلك مقاصد جليلة من الإيمان بكمال عدل الله وسعة فضله والإيمان باليوم الآخر . ومن ذلك معرفة النهي والأمر ومعرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، فإن العباد محتاجون إلى معرفة ما أمر الله به وما نهوا عنه والعمل بذلك، والعلم سابق للعمل .

وطريق ذلك : إذا مر على القارئ نص فيه أمر بشيء أو نهى عنه وفهم ما يدخل فيه وما لا يدخل فيه، حاسب نفسه، فإن كان قائماً بالأمر متجنباً للنهي فليحمد الله ويسأله الثبات والزيادة، وإن كان غير ذلك فليجاهد نفسه على ذلك ^(١).

وبذلك يزداد إيمان العبد ويقينه، فالتفكر من الأسباب الرئيسة في زيادة الإيمان، قال العلماء : أسباب زيادة الإيمان أربعة :

- ١- معرفة الله بأسمائه وصفاته .
- ٢- النظر في آيات الله الكونية والشرعية (التفكر) .
- ٣- كثرة الطاعات وإحسانها .
- ٤- ترك المعاصي تقرباً إلى الله عز وجل ^(٢).

وأما التفكر في المخلوقات فإن العبد يستدل به على ما لله من

(١) انظر : السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن، القاعدة التاسعة والعشرين،

ص ١٠٦ - ١٠٩، مكتبة المعارف، الرياض ط ١٤٠٢ هـ .

(٢) انظر : ابن عثيمين ، شرح العقيدة الواسطية ، ص ٥٨٠ .

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

صفات الكمال والعظمة والحكم البالغة، وما له من النعم الواسعة والأيدي المتكاثرة، وعلى صدق ما أخبر به من المعاد والجنة والنار، وعلى صدق رسله وحقيقة ما جاؤا به من عنده^(١).

وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع المستدعات وزاد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات وكتب دلالات على ما أخبر الله به عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، وأنها مسخرات ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فيعلم أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون وإليه صائرون وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات^(٢).

قال ابن العربي: «أمر الله تعالى بالنظر في آياته والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن، أراد بذلك زيادة في اليقين وقوة في الإيمان وتثبيتاً للقلوب على التوحيد، قيل لأبي الدرداء: أفترى الفكر عملاً من الأعمال؟ قال: نعم هو اليقين»^(٣). فالتفكر طريق العبد إلى اليقين، قال بعض السلف: مازال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم حتى أيقنت قلوبهم بربهم^(٤).

(١) انظر: السعدي، القواعد الحسان، ص ٨٤.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، سورة البقرة، الآية ١٦٤.

(٣) ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٤) انظر أبا نعيم، حلية الأولياء، ج ٦، ص ٣٠٣.

ثانياً : التفكير طريق التذكر وحياة القلوب :

فالتفكير طريق إلى التذكر، وبينهما ارتباط وثيق « والتفكير والتذكر منزلان يثمران أنواع المعارف وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتفكيره على تذكره، وتذكره على تفكيره حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتح العليم، قال الحسن البصري: مازال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكير وبالتفكير على التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت ^(١) ».

وتذكر المرء واتعاضه بالآيات إنما يبدأ من التفكير؛ ولذلك قال بعض السلف: إن للموعظة غطاء، وكشف غطاءها التفكير ^(٢).

والتفكير يذهب الغفلة عن المرء ويجلب الحياة لقلبه، قال بعض السلف: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكير، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين ^(٣). وقال ابن عون : الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب خشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جلّيت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة ^(٤).

(١) انظر: أبا نعيم، حلية الأولياء، ج ١٠، ص ١٩، وانظر : ابن القيم، مدارج السالكين، ج ١، ص ٤٤١.

(٢) انظر: أبا نعيم، حلية الأولياء، ج ٨، ص ٢٠٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج ١٠، ص ٣٢٧.

(٤) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ، ج ٤، ص ١٥٢.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

كما أن التفكير نور يدخله المرء إلى قلبه. قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «الفكرة نور تدخله إلى قلبك، كما أنه يظهر على المرء في هيئته وسكونه ووقاره». وقال وهب بن منبه رحمه الله: «المؤمن إذا تفكر علتة السكينة»^(١).

وأعظم ما يتفكر به المرء وينتفع به كتاب الله تبارك وتعالى، قراءة وتدبراً وتفكيراً ففيه حياة القلوب والأبدان، قال ابن القيم رحمه الله: «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير ومر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم»^(٢).

إن قراءة القرآن بالتفكير أصل صلاح القلب، وكانت عادة السلف أن يقوم أحدهم بالآية يرددها حتى الصباح، وتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بآية يرددها إلى أن أصبح، وهي قوله تعالى:

(١) انظر: ، أبا نعيم، حلية الأولياء ، ج٤ ، ص٦٨ .

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج ١ ص، ١٨٧ .

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).
ثالثاً : التفكير طريق إلى التوبة والعمل:

والعمل هو مقصود التفكير وغايته، وإنما يحمد التفكير إذا تبعه العمل، لا أن يكون تفكيراً مجرداً، بل إن من العجب أن يتفكر المرء ثم لا يتبع ذلك بالعمل، قال أبو العتاهية :

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد^(٢)

والتفكير مع العمل مظنة الاستجابة للدعاء وقبول العمل، قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣)... إلى قوله تعالى : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾... الآية فهؤلاء ذكروا الله تعالى وتفكروا في مخلوقاته، وحملهم التفكير على الإيمان والعمل الصالح ، قال الشوكاني رحمه الله: والمعنى أنهم يتفكرون في بديع صنعهما وإتقانها مع عظم أجرامهما، فإن هذا الفكر إذا كان صادقاً، أوصلهم إلى الإيمان بالله سبحانه^(٤). وقال

(١) سورة المائدة، الآية ١١٨ .

(٢) انظر : ديوان أبي العتاهية ، ص ١٢٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآيتان ١٩٠ ، ١٩١ .

(٤) انظر : الشوكاني ، فتح القدير ، ج ١ ، ص ٤١١ .

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

البيضاوي : وفائدة الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ :
الدلالة على أن علمهم بما لأجله خلقت السماوات والأرض حملهم
على الاستعاذة^(١). وتقدم قول مجاهد رحمه الله عند تفسير قوله تعالى :
﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ قال : يطيعون^(٢).

والتفكر مفتاح الرحمة قال سفيان بن عيينة : التفكر مفتاح
الرحمة ألا ترى أن المرء يتفكر فيتوب^(٣). فأثر التفكر يظهر على المرء
في عمله؛ ولذلك قال بعض السلف: تعود الطاعات إلى التفكر
والاعتبار، وقال الحسن البصري رضي الله عنه: التفكر يدعو إلى الخير
والعمل به^(٤).

رابعاً : التفكر طريق إلى التفقه :

بين التفكر والتفقه ارتباط ومناسبة، فإن الفقه الذي هو الفهم،
والفكر الذي هو التأمل بينهما ارتباط وثيق، فإن بين يدي الفقه
التفكر، فإن الله سبحانه وتعالى دعا عباده في غير آية من كتابه إلى
التحرك بإحالة النظر العميق في التفكر في ملكوت السماوات
والأرض، وإلى أن يمعن المرء النظر في نفسه وما حوله؛ فتحاً للقوى
العقلية على مصراعيها، فإن التفقه أبعد مدى من التفكر إذ هو
حصيلته وإنتاجه^(٥).

(١) انظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٢) انظر : ص ١٢٧ .

(٣) انظر : أبا نعيم ، حلية الأولياء ، ج ٧ ، ص ٣٠٦ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٦ .

(٥) انظر : بكر أبو زيد ، حلية طالب العلم ، دار الراجعية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٤٠ .

ولذلك فإن العلماء أكثر الناس تفكراً ؛ لأنهم يعكفون على العلم ويتفكرون في مسائله ودلائله وأحكامه ، وكلما ازداد العالم تفكراً في مسائل العلم ازداد علماً وفهماً لأحكام الشرع ومقاصده .

خامساً : التفكير طريق إلى الانتفاع بال مخلوقات :

فالتفكير يقود إلى استخراج المنافع المتنوعة من المخلوقات، فإن الله سخرها للإنسان وأودع فيها من المنافع والخيرات الدينية والدنيوية .

قال السعدي رحمه الله : فجميع فنون الصناعات على كثرتها وتنوعها وتفوقها - ولا سيما في هذه الأوقات - كل ذلك داخل في تسخيرها لنا، وقد عرفت الحاجة بل الضرورة في هذه الأوقات إلى استنباط المنافع وترقية الصنائع إلى ما لا حد له، وقد ظهر في هذه الأوقات من موادها وعناصرها ما فيه فوائد عظيمة للخلق، ومن القواعد المقررة أن ما لا تتم الأمور المطلوبة إلا به فهو مطلوب بطلبها، وهذا يدل أن تعلم الصناعات والمخترعات الحادثة من الأمور المطلوبة شرعاً كما هي مطلوبة لازمة عقلاً، وأنها من الجهاد في سبيل الله، ومن علوم القرآن، فإن الله نبه العباد أنه جعل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وأنه سخر لهم ما في الأرض، فعليهم أن يسعوا لتحصيل هذه المنافع من أقرب الطرق، وهي لا تعرف إلا بالبحث والتنقيب والتجارب المتكررة والدراسات المناسبة لكل نوع منها، وهذا من آيات القرآن، وهو أكبر دليل على سعة علم الله وحكمته

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

ورحمته بعباده؛ بأن أباح لهم جميع النعم ويسر لهم الوصول إليها بطرق لا تزال تحدث وقتاً بعد وقت ^(١).

إن من أعظم نعم الله على العبد أن يتفكر في مخلوقاته ويتأملها من خلال الآيات القرآنية التي أشارت إليها، كقوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ^(٢)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ^(٤)، وغيرها من الآيات الدالة على أن الله جل وعلا خلق هذه المخلوقات وقدر لها وهداها إلى ما قدر لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ يتضمن أنه قدر ما سيكون للمخلوقات وهداها إليه ، وعلم ما يحتاج إليه الناس والدواب من الرزق وهدى غيره من الأحياء أن يسوق إليه ذلك الرزق، وخلق الأرض وقدر حاجتها إلى المطر وقدر السحاب وما يحمله من المطر، وخلق ملائكة ليسوقوا السحاب إلى تلك الأرض فيمطر المطر الذي قدره، وقدر ما ينبت منها من الرزق، وقدر حاجة العباد إلى ذلك الرزق، وهداهم إلى ذلك الرزق وهدى من يسوق ذلك الرزق إليهم)) ^(٥). فسبحان من بهر بحكمته الأبواب ((ففي

(١) السعدي ، القواعد الحسان ص ٨٦ ، ٨٧ بتصرف يسير.

(٢) سورة النمل، الآية ٨٨.

(٣) سورة طه، الآية ٥٠.

(٤) سورة الأعلى، الآية ٣.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٦، ص ١٣٩.

كل ما خلقه إحسان إلى عباده يشكر عليه، وله فيه حكمة تعود إليه يستحق أن يحمد عليها لذاته»^(١).

ولكل مخلوق حكمة خلق لأجلها، والحكمة الموجودة في المخلوقات أمر يفوق العد والإحصاء.

وهذه المخلوقات كلها تسبح بحمد الله كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٢). وليس تسبيح هذه المخلوقات هو دلالتها على الخالق فقط بل لها تسبيح آخر لا يفقهه العباد، قال شيخ الإسلام: «زعم طائفة أن ما ذكر في القرآن من تسبيح المخلوقات هو من هذا الباب وهو دلالتها على الخالق تعالى، ولكن الصواب أن ثم تسبيحاً آخر زائداً على ما فيها من الدلالة»^(٣).

وقد أودع الله في هذه المخلوقات قوة بقدرته تعالى، قال العلماء: "وقد تماسكت الكونيات كلها ولزم كل منها مكانه بقدره الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٤) وقد يكون هذا التماسك بسر أودعه الله الكائنات يعرفه من هياً الله له من أسباب معرفته من علماء السنن الكونية وغيرهم»^(٥).

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٢٠٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٤.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٢، ص ٤٠٦.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ج ١، ص ٢٤، والآية من سورة فاطر، الآية ٤١.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

وهذه القوة في المخلوقات يستدل بها على قوة الله وقدرته وجبروته وعظمة سلطانه وتدبيره، حيث أودع فيها سبحانه هذه القوة ، قال شيخ الإسلام : « وكل ما في المخلوقات من قوة وشدة تدل على أن الله تعالى أقوى وأشد، وما فيها من علم يدل على أن الله أعلم، وما فيها من علم وحياة يدل على أن الله أولى بالعلم والحياة »^(١) .

وبهذا ينتفع العبد بالمخلوقات تفكرا واعتبارا كما ينتفع بها وبما أودع الله فيها من المنافع .

المطلب الثاني: معوقات التفكير:

تتعدد المعوقات التي تحول دون التفكير بآيات الله ومخلوقاته، ويتفاوت تأثير تلك المعوقات على الأفراد والمجتمعات، ويمكن أن تبين أهم هذه المعوقات من خلال ما يلي:

أولاً: الكفر بالله واليوم الآخر:

قضى الله تبارك وتعالى وقدر بحكمته وعلمه أن الذي ينتفع بالآيات هو من يؤمن بالله تعالى ولا يكفر به ولا يعطل سمعه وبصره وعقله، بل يتقي ربه ويوقن ببلقائه ، وفي القرآن الكريم العديد من الآيات التي توضح ذلك، حيث يأتي في ختام الآيات التي تتحدث عن آيات الله وأحكامه ومخلوقاته ونعمه وفضله ما يشير إلى ذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِنَّ

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ١٦، ص ٣٥٧.

(٢) سورة النحل، الآية ٦٧، وسورة الروم، الآية ٢٤.

فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١﴾، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢﴾، وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣﴾، وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٤﴾، وقوله: ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥﴾، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦﴾، وقوله: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧﴾، وقوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٨﴾، وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿٩﴾، والآيات في ذلك كثيرة معلومة ، فخص الله تعالى هذه الفئة بالانتفاع بآياته ودعا الناس كلهم إلى التفكير فيها وأقام عليهم الحجج في ذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .

ثانياً: الإعراض والغفلة:

وهو من أعظم الأسباب المانعة من التفكير بآيات الله ومخلوقاته، كما

قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ

(١) سورة النحل، الآية ٦٥، وسورة الروم، الآية ٢٣.

(٢) سورة الحجر، الآية ٧٧.

(٣) سورة النمل، الآية ٨٦، والعنكبوت ، الآية ٢٤.

(٤) سورة النحل ، الآية ١٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

(٦) سورة يونس، الآية ٦.

(٧) سورة يونس، الآية ١٠١.

(٨) سورة الجاثية، الآية ٤.

(٩) سورة الذاريات، الآية ٢٠.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ (١).

وقد يكون مع هذه الطائفة شيء من الإيمان ولكن غلبت عليهم الغفلة والإعراض، قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه في السماوات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت وسيارات، وأفلاك دائرات والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات وحدائق وجنات وجبال راسيات وبحار زاحرات وأمواج متلاطمت وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات وحيوان ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفة في الطعوم والروائح والألوان والصفات، فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية للأسماء والصفات" (٢).

ولذلك كان على العبد المؤمن أن يحذر أسباب الغفلة والإعراض وأن ينيب إلى ربه ويرجع إليه ويتفكر في مخلوقاته وآياته، ويستدل بكل آية من آيات الله على قدرة الله وحكمته وعلمه وكماله في أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنًا خَفِيفًا بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ تُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٦٨﴾﴾ (٣). أي: إن في النظر

(١) سورة يوسف، الآيتان ١٠٥، ١٠٦.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٤١.

(٣) سورة سبأ، الآية ٩.

إلى خلق السماوات والأرض لدلالة - لكل عبد فطن ليب رجاء إلى الله - على قدرة الله تعالى على بعث الأجساد ووقوع المعاد»^(١).
قال السعدي رحمه الله: «فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله كان انتفاعه بالآيات أعظم؛ لأن المنيب مقبل على ربه قد توجهت إرادته وهيمته لربه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريباً من ربه ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته فيكون نظره للمخلوقات نظر فكر وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة»^(٢).

وقد قضى الله وقدر أن أكثر الناس يغفلون عن آيات الله ولا ينتفعون بها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾^(٣). أي: لا يتعظون بها؛ ولا يعتبرون بها؛ فلذلك تمر عليهم وتكرر فلا ينتفعون بها لعدم إقبالهم عليها^(٤).

والغفلة لها أسبابها التي تنشأ عنها، وفي العصر الحاضر فإن المدنية والوسائل الحديثة والضوضاء وكثرة العمل وقلة الفراغ وشغل الناس وفوضى أذهانهم؛ كل ذلك جعل القليل منهم من يتفكر في نفسه وما حوله، إضافة إلى ذلك إن ابتعاد كثير من الناس عن التفكير يرجع إلى

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٧٨.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٢٢.

(٣) سورة يونس، الآية ٩٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٧٢، وانظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢٩.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

تلبسه ببعض المعاصي والآثام التي ألفها وأحبها، ولذلك فإنه يتعد عن التفكير الذي قد يؤدي إلى التوبة منها أو إلى توبيخ نفسه وتأنيبها، فيظل غارقاً في شؤونه دون تفكير في إصلاح نفسه أو أهله أو مجتمعه.

كما أن سبل المعيشة ووسائل الاتصال في العصر الحاضر جعلت كثيراً من الناس لا يجدون فراغاً في أوقاتهم، فالأعمال تأخذ حيزاً من وقتهم، كما أن وسائل الاتصال والترفيه تأخذ حيزاً آخر من وقتهم وتفكيرهم، وتشغلهم عن التفكير في أنفسهم وماحولهم من الحوادث والآيات. وقد تساهم وسائل الاتصال أحياناً عبر برامجها في الحث على التفكير، ولكنها لا تدعو الإنسان إلى أن يستقل بتفكيره، كما أن وقتها قد لا يكون مناسباً عند عرضها مما يقلل من فائدتها، وقد لا يكون لدى المتلقي الاستعداد الذهني لتقبلها، وقد لا يكون لديه الصفاء النفسي الذي يحتاجه عند عرضها، فليس كل وقت يناسب للتفكير، وليس كل موضوع يناسب أيضاً.

ثالثاً: الكبر:

وهو من أخطر الأدواء وأعظم الذنوب وسبب للمقت من علام الغيوب، والمتكبرون لا ينتفعون بشيء من آيات الله ودلائل وحدانيته وقدرته، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَآءَ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا

عَنْهَا غَفِيلِينَ ﴿٦٦﴾^(١).

قال ابن جريج رحمه الله: سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا^(٢).

وقال السعدي رحمه الله: «سأصرفهم عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية والفهم لآيات الكتاب ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة حرمه الله خيراً كثيراً وخذله ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق واستحسن القبيح»^(٣).

والكبر هو ذنب إبليس اللعين، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤)، وهو ذنب الأقوام الذين كذبوا الرسل عليهم السلام من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿وإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبُعَهُمْ فِيْٓ آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾^(٥).

وقال تعالى عن عاد قوم هود: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٦.

(٢) انظر: ابن جريج، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٩، ص ٦٠.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٦٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٥) سورة نوح، الآية ٧.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ^(١)، وعن ثمود قوم صالح: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ اَتَعْلَمُونَ اَنْ صَلَاحًا مُرْسِلٌ مِّن رَّبِّهِمْ ؕ قَالُوا اِنَّا بِمَا ارْسَلَ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ ^(٢).

وعن قوم شعيب: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا اَوْ لَنَعُودَنَّ فِيْ مِلَّتِنَا ؕ قَالَ اُولَؤُكُنَا كَرِهِيْنَ﴾ ^(٣)، وعن قوم موسى قال تعالى: ﴿وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْاَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِيْنَ﴾ ^(٤).

ومنع الكبر أيضاً مشركي قريش في مكة من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿اِنَّهُمْ كَانُوْا اِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ يَسْتَكْبِرُوْنَ﴾ ^(٥)، والكبر هو الذي صرف المنافقين وصدّهم عن الانتفاع بالحق، قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُوْلُ اللّٰهِ لَوُوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّوْنَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُوْنَ﴾ ^(٦).
فالكبر داء يمنع من قبول الحق كما يمنع من التفكر في آيات

(١) سورة فصلت، الآية ١٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٧٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٨٨.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٣٩.

(٥) سورة الصافات، الآية ٣٥.

(٦) سورة المنافقون، الآية ٥.

الله ومخلوقاته ويجعلهم يصرفونها عن ظاهرها ويفسرونها وفق أهوائهم، سواء في ذلك الآيات القرآنية أو الآيات الكونية، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٥٨ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٠﴾^(١)

تلك أبرز الأسباب المانعة من التفكير، وإذا كان المرء مؤمناً بالله سالماً من الغفلة والكبر فإنه يتفكر في كل ما حوله من الآيات ويعتبر بها.

الخاتمة:

وبعد فأحمد الله على ما يسر من إتمام هذا البحث الذي بينت فيه مفهوم التفكير وأهميته وأنواعه ومجالاته وثمراته، وقد خلصت من ذلك إلى بعض النتائج منها:

١- إن التفكير من العبادات القلبية الجليلة وأن الكتاب والسنة قد جاءا بطلبه والحث عليه.

٢- إن مفهوم التفكير في الإسلام لا يعني تكلف هيئة معينة أو ترديد كلمات مخترعة. كما أنه لا يعني التعبد بالصمت إذ لا عبرة ولا

(١) سورة غافر، الآيات ٥٦ - ٥٨.

التفكر في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة — د. عبدالله اللحيدان

فضيلة للصمت المطلق، بل يعني ترديد العلم بالقلب وتقليب النظر اعتباراً وتفكيراً بالآيات القرآنية والآيات الكونية.

٣- إن الإسلام أتاح للمرء حرية التفكير في كل وقت وعلى أي حال وليس لأحد أن يقوم بالوصاية على المسلم في تفكره.

٤- إن أهمية التفكير تأتي من كونه أصل الطاعات ومبدأها، كما أن أصل كل معصية إنما يبدأ من الفكرة الرديئة. فهو سبيل المرء إلى العمل وإدراك حقائق الأشياء، وسعادة المرء وشقاوته تبع لأفكاره.

٥- إن التفكير الذي ينتفع به صاحبه هو الذي يبعث على التأسّي بالكتاب والسنة ويدعو إلى العمل بهما.

٦- إن مجالات التفكير عديدة متنوعة أعظمها التفكير في القرآن العظيم وفي أوامر الله تبارك وتعالى، وفي آياته ومخلوقاته.

٧- إن التفكير من أعظم الأسباب لزيادة الإيمان واليقين، وهو طريق إلى التذكر وحياة القلوب والانتفاع بالمخلوقات.

٨- إن من أعظم الأسباب الصارفة عن التفكير الكفر بالله واليوم الآخر، والكبر والغفلة والإعراض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على

نبينا محمد .